

الوحياء

آداب وأحكام

إعداد أحمد رغدي
وفقه الله



الوباء أحكام وآداب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ابتلى عباده بما شاء من منح ومحن، فألجأهم إلى الافتقار إليه، ورزقهم الصبر على البلاء وأثابهم عليه، فبلغهم به من الدرجات ما لم يكونوا بالغيه، أو ردهم به عن طريق غواية كانوا طارقيه.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أشد الناس بلاء وأكثرهم صبرا، وأعظمهم احتمالا وأوسعهم صدرا، صبر أمته وبشرهم خيرا، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾ [سورة الشرح].

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة.

وقد أحببت أن أشارك هذه المقالة المقتضبة، عن
تذكرة رأيت الناس بحاجة إليها، فتيّمت هذا المنتدى
الطيب المبارك إن شاء الله، منتديات الإبانة السلفية،
لتحصل به الفائدة وتعم والله من وراء القصد.



أحكام وآداب عامة أسباب وقوع البلاء

- الاختبار والابتلاء:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة البقرة]،
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۚ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأنبياء]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوكُم بِأَخْبَارِكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة محمد]، قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(١)، وقال: «حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(٢).

- معاصي العباد وكسب أيديهم:

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَبَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٦﴾﴾ [سورة

(١) صحيح مسلم (٢٩٩٩).

(٢) صحيح مسلم (٢٨٢٢).

النساء]، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [سورة الشورى: ٣٠]، قال قتادة: «بلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»^(١).

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم: ٤١]، والفساد هنا المعاصي.

وفي الحديث: قَالَتْ زَيْنَبُ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ»^(٢). وقال رسول الله ﷺ: «لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعَذِّرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ»^(٣)، أي: حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم^(٤).

- الإعلان بالفاحشة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٧٥/٢) عن معمر به.

(٢) متفق عليه، البخاري (٧٠٥٩) واللفظ له، ومسلم (٢٨٨٠).

(٣) صحيح، صحيح الجامع (٥٢٣١).

(٤) غريب الحديث لأبي غبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، (١٣١/١).

تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ [سورة النور].

وقال رسول الله ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطّاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»^(١)، وقال: «كل أمتي مُعافى إلا المُجاهرين، وإنّ من المُجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يُصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عمِلْتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»^(٢).

- عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة المائدة].
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ

(١) حسن، صحيح ابن ماجه (٣٢٦٢).

(٢) صحيح البخاري (٦٠٦٩).

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [سورة التوبة]، فجعل من أسباب الرحمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروفِ ولتَنْهَوْنَ عن المنكرِ أو ليوشكنَّ اللهُ أن يبعثَ عليكم عقاباً منه فتدعونهُ فلا يَستجيبُ لكم»^(١).

وعن قيس بن أبي حازم قال: قام أبو بكرٍ فحمدَ الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: يا أيُّها النَّاسُ إنَّكم تَقْرَءونَ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإِنَّا سَمِعنا رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا المنكرَ لَا يُغَيِّرُونَهُ، أَوْشَكَ أَنْ يُعَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ»^(٢).

- عدم شكر النعم:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧﴾ [سورة إبراهيم]، ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾^(٣)

(١) حسن، صحيح الجامع (٧٠٧٠).

(٢) صحيح، صحيح ابن ماجه (٣٢٥٢).

[سورة النساء] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ وَبَلَدٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ [سورة سبأ].

يروى عن علي رضي الله عنه أنه قال لرجل من همدان: «إِنَّ النِّعْمَةَ مَوْصُولَةٌ بِالشُّكْرِ، وَالشُّكْرُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَزِيدِ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ، فَلَنْ يَنْقَطِعَ الْمَزِيدُ مِنَ اللَّهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ»^(١). وقد ذكر لنا القرآن الكريم ما نزل بأصحاب الجنة وبصاحب الجنتين بسبب عدم الشكر ونسبة النعمة للمنعم بها، وما أخبرنا به النبي ﷺ من شأن الأقرع والأبرص والأعمى الذين ابتلوا فشكر الأعمى ولم يشكر صاحبا، وما كان عاقبتهم.



(١) الجامع شعب الإيمان، أخرجه البيهقي بإسناده وفيه انقطاع.

الحكمة من نزول البلاء

- كثرة الثواب ورفعة الدرجات:

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر]، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ»^(١)، وقال لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى قَدَرِ نَصَبِكَ وَنَفَقَتِكَ»^(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنَزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغَهَا بِعَمَلِهِ ابْتِلَاءُ اللَّهِ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَبْلُغَهُ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى»^(٣)، وقال أيضا: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَكُونَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ، فَمَا يَبْلُغَهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يَبْلُغَهُ إِيَّاهَا»^(٤)، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً»^(٥).

(١) حسن، السلسلة الصحيحة (١٤٦).

(٢) صحيح، صحيح الترغيب (١١١٦).

(٣) صحيح، صحيح أبي داود (٣٠٩٠).

(٤) حسن، صحيح الجامع (١٦٢٥).

(٥) صحيح مسلم (٢٥٧٢).

- تكفير الذنوب وحط الخطايا:

عن عبد الله بن مسعود قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسَسْتُهِ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَغَكَّا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَجَلْ إِنِّي أُوَعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» قَالَ: فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَجَلْ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدَى مِنْ مَرَضٍ، فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحْطُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»^(١).

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمَسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوفِّي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)، وقال: «إِذَا ابْتَلَى اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ قَالَ اللَّهُ اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ فَإِنْ شَفَاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ»^(٣)، وقال: «فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ

(١) صحيح مسلم (٢٥٧١).

(٢) حسن، تخریج مشكاة المصابيح (١٥٠٩).

(٣) حسن، إرواء الغلیل (٣٤٦/٢).

خَطِيئَةً^(١)، وقال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٢).

- تقوية الإيمان وتمحيصه:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران]، ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [سورة التوبة].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وَاللَّهُ يَنْزِلُ بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الشَّدَّةِ وَالضَّرِّ مَا يُلْجِئُهُ إِلَى تَوْحِيدِهِ فَيَدْعُوهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَلَا يَرْجُو أَحَدًا سِوَاهُ وَيَتَعَلَّقُ قَلْبُهُ بِهِ وَحْدَهُ فَيَحْصِلُ لَهُ مِنَ التَّوَكُّلِ وَالْإِنَابَةِ وَحَلَاوَةِ الْإِيمَانِ وَذَوْقِ طَعْمِهِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشَّرِّ مَا هُوَ أَعْظَمُ نِعْمَةً مِنْ زَوَالِ ضَرِّهِ

(١) إسناده جيد، السلسلة الصحيحة (١٤٣).

(٢) صحيح البخاري (٥٦٤١).

فَإِنْ مَا يَحْصُلُ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ لَا يُمَكِّنُ وَصْفَهُ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

- تأديب العباد وتهذيبهم:

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُونُ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ فَأَتْبَبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ ۖ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل عمران]،

وهو ما وقع للصحابه الكرام رضوان الله عليهم في وقعة أحد، حيث خالفوا التوجيه النبوي الكريم بالبقاء على الجبل مهما كان الحال، ولكن بعضهم رأى انتصار النبي ﷺ ومن معه على المشركين فظن الأمر انتهى وغادر مكانه، وبسبب ذلك كانت الكرة للمشركين، فكان ذلك تأديبا من الله لهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [سورة الأنعام]، وقد تكون المصائب والمحن دواء للكبر والعجب، وليعلم أهل المصائب أنه لولا محن الدنيا ومصائبها، لأصاب العبد

(١) مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية (ص ١٣٩).

من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو
سبب هلاكه عاجلاً وأجلاً.^(١)

- التذكير بحقيقة الدنيا:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [سورة الملك: ٢]، فالبلاء حقيقة
الدنيا ولأجله خلق الله الموت والحياة.

وقال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله
جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء»^(٢)، وعن
ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا
كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَصْحَابِ
الْقُبُورِ وَقَالَ لِي يَا ابْنَ عَمْرٍَا إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ
بِالْمَسَاءِ وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ»^(٣)، وقال:
«الدُّنْيَا سَجَنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»^(٤).

قال الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -: «مِنْ فَوَائِدِ

(١) تسلية أهل المصائب للمنبيجي (ص ٢١).

(٢) صحيح لغيره، السلسلة الصحيحة (٩٤٣).

(٣) حسن لغيره، صحيح الترغيب (٣٣٤١).

(٤) صحيح، صحيح الجامع (٣٤١٢).

الأمراض أَنَّهَا تُنْذِرُكَ بِالرَّحِيلِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا، وَأَنَّكَ لَنْ تَبْقَى فِيهَا مُنْعَمًا وَسَلَامًا، فَهِيَ تُذَكِّرُكَ بِالْمَوْتِ لِأَجْلِ أَنْ تَسْتَعِدَّ لَهُ»^(١).

- تمييز أهل الإيمان عن غيرهم:

﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكَوْا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۚ﴾ [سورة العنكبوت] ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۚ﴾ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأحزاب]، وأما أهل الإيمان فقالوا: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الأحزاب]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ

(١) شرح منظومة الآداب الشرعية الشريط الحادي عشر.

الْمُبِينُ ﴿١١﴾ [سورة الحج].

- عقوبة الظالمين:

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود]، ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال].

وقال رسول الله ﷺ: «ما من ذنبٍ أجدرُ أن يُعَجَّلَ اللهُ تعالى لصاحبه العقوبةَ في الدنيا مع ما يُدْخِرُ له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»^(١).



(١) صحيح، السلسلة الصحيحة (٩١٨).

الآداب في زمن البلاء

- الإيمان بالقضاء والقدر:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(١)
 [سورة الحديد: ٢٢]. ﴿قُلْ لَّن يُصِيبْنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢) [سورة التوبة: ٥١].

قال أبي بن كعب: «فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك»^(١)، وقال عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا بُنَيَّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَنْ تَقِ اللَّهَ حَتَّى تَوْمَنَ بِاللَّهِ وَلَنْ تَوْمَنَ بِاللَّهِ حَتَّى تَوْمَنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ يَخْطُئُكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ الْقَدْرُ عَلَى هَذَا مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»^(٢).

- الإيمان بعدل الله وفضله:

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ

(١) صحيح، صحيح ابن ماجه (٦٢).

(٢) صحيح، تخريج كتاب السنة (١١١).

لِلْعَيْدِ ﴿١٨٢﴾ [سورة آل عمران: ١٨٢].

قال أبي بن كعب: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ»^(١).

- الاعتصام بالله والتوكل عليه:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [سورة التغابن: ١١]، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٠١].

عن علقمة بن قيس عن عبد الله قال: «الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ، وَالْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ»^(٢).

- دوران القلب بين الخوف والرجاء:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ»، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي فَقَالَ رَسُولُ

(١) صحيح، صحيح ابن ماجه (٦٢).

(٢) صحيح موقوفاً، صحيح الترغيب (٣٣٩٧).

الله ﷻ: «لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف»^(١).

- التعزي بالمصاب الأعظم:

قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس أيما أحدٍ من الناس أو من المؤمنين أُصيب بمصيبةٍ فليتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تُصيبه بغيري، فإنَّ أحدًا من أمّتي لن يُصاب بمصيبةٍ بعدي أشدَّ عليه من مصيبتِي»^(٢).

- التسلي بمصائب الصالحين:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَيَبْتَلَى الرَّجُلَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(٣).

(١) حسن، صحيح الترمذي (٩٨٣).

(٢) صحيح، صحيح الجامع (٧٨٧٩).

(٣) حسن صحيح، صحيح الترمذي (٢٣٩٨).

- الصبر احتساباً وعدم الجزع:

فالصبر واجب والجزع محرم، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو
الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف: ٣٥].

وصبر أولي العزم صبر احتساب، فإن الصبر احتساب
أو سلو، وقال الأشعث بن قيس: «إنك إن صبرت إيماناً
واحتساباً، وإلا سلوت كما تسلو البهائم»^(١).

- حسن الظن بالله:

﴿وَطَافِقَةُ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ
ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ
الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤].

قال رسول الله ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ
بِاللَّهِ الظَّنَّ»^(٢)، «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ
عَبْدِي بِي إِنَّ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»^(٣).

- كثرة الاسترجاع:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا

(١) تسليّة أهل المصائب (ص ٢٥).

(٢) صحيح مسلم (٢٨٧٧).

(٣) صحيح، صحيح الترغيب (٣٣٨٦).

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ [سورة البقرة].

وعن أم سلمة قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا،
إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». قَالَتْ: فَلَمَّا
تُوِّفِيَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْلَفَ
اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ، رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (١).

والاسترجاع الذي هو كلمة إنا لله وإنا إليه راجعون
معناها أننا ملك لله وليس أجسامنا وأرواحنا وأموالنا
وأولادنا إلا عارية يأخذها مالکها متى شاء، ومصيرنا
ومرجعنا بعد ذلك إليه سبحانه.

- إساءة الظن بالنفس:

فلا يُدِلُّ العبد على ربه بعبادته ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا
ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة
المؤمنون]، ولا يسيء الظن بغيره من المسلمين، قال رسول

(١) صحيح مسلم (٩١٨).

الله ﷺ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ»^(١).

- الإحسان لأهل البلاء:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة النحل: ٣٠]، قال رسول الله ﷺ: «ابْغُونِي الضُّعْفَاءَ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنَصَّرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ»^(٢)، ومن الإحسان إليهم عدم الشماتة بهم، أو زعم أنها عقوبة لهم إن كانوا من أهل الإيمان.

- النظر إلى حسن العاقبة:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص: ٨٣]، قال رسول الله ﷺ: «لِيُودَنَّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ جُلُودَهُمْ قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ، مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ»^(٣).

- تهوين مصاب الدنيا أمام مصاب الدين:

قال جندب بن عبد الله البجلي: «فَإِنْ عَرَضَ بَلَاءٌ

(١) صحيح مسلم (٢٦٢٣).

(٢) صحيح، صحيح أبي داود (٢٥٩٤).

(٣) حسن، السلسلة الصحيحة (٢٢٠٦).

فَقَدِّمَ مَالَكَ دُونَ نَفْسِكَ، فَإِنْ تَجَاوَزَ الْبَلَاءُ فَقَدِّمَ مَالَكَ دُونَ دِينِكَ، فَإِنَّ الْمَحْرُومَ مِنْ حُرْمِ دِينِهِ، وَإِنَّ الْمَسْلُوبَ مَنْ سُلِبَ دِينُهُ، وَإِنَّهُ لَا غِنَى يُغْنِي بَعْدَهُ النَّارُ، وَلَا فَقْرَ يَفْقِرُ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ، إِنَّ النَّارَ لَا يُفَكُّ أَسِيرُهَا وَلَا يَسْتَعْنِي فَقِيرُهَا»^(١).

- عدم سؤال البلاء أو التعرض له:

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرَخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ، أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجَّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ، أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ، أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» قَالَ: فَدَعَا اللَّهُ لَهُ، فَشَفَاهُ»^(٢).

- عدم الانسياق مع الإشاعات:

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ

(١) صحيح موقوف، الحافظ ابن حجر، المطالب العلية (٣/٣٤٩).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٨٨).

وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ [سورة النساء]، فزمن البلاء زمن خصب للإشاعات والإرجاف، وكثرة القيل والقال، فعلى المؤمن أن لا ينساق وراءها بل يكون متثبتاً فيما ينقله، فقد قال له رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»^(١).

- التزام القواعد التي في صالح المسلمين:

وذلك بحسب البلاء النازل ويتأكد الأمر إذا أمر به أولياء الأمر، كأن يأمرُوا بترك أو فعل لا يكون معصية لله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩]، وقال النبي ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(٢).

- عدم نسبة البلاء إلى الطبيعة:

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا

(١) صحيح، صحيح الجامع (٤٤٨٢).

(٢) صحيح، صحيح الجامع (٧٥٢٠).

قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ [سورة الأعراف]، فصرفوا البلاء عن الحكمة التي خلقه الله لأجلها، ومثلهم من ينسب البلاء إلى الطبيعة ويسميها كوارث طبيعية، قال ابن القيم رحمه الله: «لم يعلم هؤلاء الجهال الضلال أن الطبيعة قوّة وصفة فقيرة إلى محلّها محتاجة إلى حامل لها، وأنها من أدلّ الدلائل على وجود أمره في طبعها وخلقها، وأودعها الأجسام، وجعل فيها هذه الأسرار العجيبة، فالطبيعة مخلوق من مخلوقاته، ومملوك من ممالكه، وعبدة مسخرة لأمره تعالى منقادة لمشيئته. ودلائل الصنعة وأمارات الخلق والحدوث وشواهد الفقر والحاجة شاهدة عليها بأنّها مخلوقة مصنوعة، لا تخلق ولا تفعل ولا تتصرّف في ذاتها ونفسها، فضلاً عن إسناد الكائنات إليها»^(١).



(١) طريق الهجرتين (ص ١٢٨).

أسباب رفع البلاء

- كرم الله وفضله:

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ
وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة آل عمران]،
﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة]،
﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة البقرة]،
﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾ [سورة الشرح]،
فجعل الله بفضله مع كل عسر يسرين.

﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [سورة الرحمن]، عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه
قال في هذه الآية: «مِنْ شَأْنِهِ: أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفْرِجَ كَرْبًا،
وَيَرْفَعَ قَوْمًا وَيَخْفِضَ آخَرِينَ»^(١).

والنبي ﷺ كان يثني على ربه فيقول: «لبيك وسعديك

(١) حسن، صحيح ابن ماجه (١٦٨).

والخير كله في يديك والشر ليس إليك»^(١).

- اللجوء إلى الله بالتوبة والاستغفار:

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة يونس]، قال ابن جرير: «لم يكن هذا في الأمم قبلهم لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب، فتركت، إلا قوم يونس، لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم، قذف الله في قلوبهم التوبة، ولبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم عَجُّوا إلى الله أربعين ليلة. فلما عرف الله الصّدق من قلوبهم، والتوبة والندامة على ما مضى منهم، كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلّى عليهم»^(٢).

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾^(١٤٣) لَلْبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ^(١٤٤) [سورة الصافات]، وقد قيل: ما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة.

(١) صحيح، صحيح أبي داود (٧٦٠).

(٢) تفسير الطبري (٦١٣/٦).

ـ كثرة الدعاء والتضرع لله تعالى:

قال النبي ﷺ: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ»^(١)، وروى عنه: «وإنَّ البلاءَ لَيَنْزِلُ، فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ، فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢)، وقال: «ما من مسلمٍ يَدْعُو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةٌ رَحِمَ، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاثٍ: إما أن يُعَجِّلَ له دعوتَه، وإما أن يَدَّخِرَها له في الآخرة، وإما أن يَصْرِفَ عنه من السُّوءِ مِثْلَهَا»، قالوا: إِذَنْ نُكَثِّرُ؟ قال: «اللَّهُ أَكْثَرُ»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الدُّعَاءُ سَبَبٌ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ فَإِذَا كَانَ أَقْوَى مِنْهُ دَفَعَهُ وَإِنْ كَانَ سَبَبُ الْبَلَاءِ أَقْوَى لَمْ يَدْفَعْهُ لَكِنْ يُخَفِّفُهُ وَيُضَعِّفُهُ وَلِهَذَا أَمَرَ عِنْدَ الْكُسُوفِ وَالْآيَاتِ بِالصَّلَاةِ وَالْدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَتَقِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(٤).

(١) حسن، صحيح الجامع (٧٦٨٧).

(٢) حسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٣٩) ثم ضعفه بعد ذلك في السلسلة الضعيفة (٦٧٦٤).

(٣) إسناده صحيح، تخريج مشكاة المصابيح (٢١٩٩).

(٤) مجموع الفتاوى (١٩٦/٨).

وقد لجأ إليه أيوب عليه السلام في بلواه وضره فكشفه الله عنه سبحانه، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَلَيْسَ مِنِّي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ [سورة الأنبياء].

- لزوم الطاعة ومجانبة المعصية:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٩٦) [سورة الأعراف]، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۚ﴾ [سورة الطلاق]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيِّرًا نِّعَمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٣) [سورة الأنفال].

قال رسول الله ﷺ: «**احفظ الله يحفظك**»^(١).

وقد حكى أن أبا الطيب الطبري ركب مرة سفينة فلما خرج منها قفز قفزة لا يستطيعها الشاب! ف قيل له:

(١) إسناده صحيح، تخريج مشكاة المصابيح (٥٢٣٢).

ما هذا يا أبا الطيب؟ فقال: «هذه أعضاء حفظناها في الشبية تنفعنا في الكبير»^(١).

- طلب العافية من الله:

عن أنس أن النَّبِيَّ ﷺ مرَّ بقومٍ مبتليين فقال: «أما كان هؤلاء يسألون الله العافية»^(٢)، فطلب العافية قبل البلاء يمنعه بفضل الله.

- فعل الخير وصنع المعروف:

قال رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السُّوء، والصدقة خفيًا تطفى غضب الرب، وصلته الرِّحم زيادةً في العمر، وكلُّ معروفٍ صدقةٌ، وأهلُ المعروف في الدنيا هم أهلُ المعروف في الآخرة، وأهلُ المنكر في الدنيا أهلُ المنكر في الآخرة»^(٣).

- التعرف إلى الله في زمن الرخاء:

وفي حديث ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ أنه

(١) البداية والنهاية (٨٨/٦).

(٢) إسناده صحيح، السلسلة الصحيحة (٢١٩٧).

(٣) صحيح، صحيح الجامع (٣٧٩٦).

قال: «تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ»^(١).

وقال تعالى ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة يونس]، فلم يقبل الله منه في زمن الشدة وقد ضيع في زمن الرخاء.

- بذل الأسباب الكونية القدرية:

إن الله سبحانه يجري البلاء على عباده وفق سنن كونية قدرية، لذلك يمكنهم بذل الأسباب لرفع البلاء أو دفعه بإذن الله. وتكون الأسباب المبذولة بحسب هذا البلاء، وليس هو من رفض القضاء النازل كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نفر من قدر الله إلى قدر الله.

بل بذل الأسباب من تمام التوكل على الله، وفي الحديث «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»^(٢)، قال ابن القيم: «فَتَرَكُ الْأَسْبَابِ الْمَأْمُورُ بِهَا قَادِحٌ فِي التَّوَكُّلِ»^(٣).



(١) صحيح الجامع (٢٩٦١).

(٢) حسن، صحيح الجامع (١٠٦٨).

(٣) مدارج السالكين (١١٧/٢).

أحكام الأوبئة المعدية

تعريف الوباء

قال النووي: «أما الوباء: فقال الخليل وغيره: هو الطاعون، وقال: هو كل مرض عام، والصحيح الذي قاله المحققون: أنه مرض الكثيرين من الناس في جهة من الأرض، دون سائر الجهات ويكون مخالفاً للمعتاد من أمراض في الكثرة، وغيرها ويكون مرضهم نوعاً واحداً، بخلاف سائر الأوقات؛ فإن أمراضهم فيها مختلفة، قالوا: وكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعوناً والوباء الذي وقع في الشام في زمن عمر كان طاعوناً وهو طاعون «عمواس» وهي قرية معروفة بالشام»^(١).

العدوى المثبتة والمنفية

قال رسول الله ﷺ: «لا عَدْوَى ولا صَفَرٌ ولا هَامَةٌ» فقال أغرابي: يا رسول الله، فما بال الإبل تَكُونُ في الرَّمْلِ كأنَّها الطَّيَّاءُ، فَيَجِيءُ البَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ فيها فَيُجْرِبُها كُلَّها؟ قال:

(١) شرح النووي على مسلم (٢٠٤/١٤).

«فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟»^(١)، فنفي رسول الله ﷺ العدوى وأثبت انتقال المرض بعدم تخطئه للأعرابي.

وقال أيضا: «لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»^(٢)، وقال: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةٌ وَلَا هَامَةٌ وَلَا صَفَرٌ، وَفِرٌّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ»^(٣). فجمع بين الأمرين، وغيرها من الأحاديث النافية للعدوى والآمرة بمجانبة أهل الأمراض المنتقلة.

وقد جمع أهل العلم بين الأمرين على أن العدوى المنفية هي التي يعتقدوها أهل الجاهلية والتي تنتقل وتؤثر بنفسها وتعدى بطبعها، والمثبتة هي ما تنتقل بإذن الله ومشيتها، غير أن بعضهم أنكر الاسم مطلقا وأثبت المفهوم الصحيح.

ومما يجمع به أيضا: أن انتقال المرض مثل الشفاء كلاهما بيد الله جل وعلا، وليست أسبابهما قطعية،

(١) صحيح مسلم (٢٢٢٠).

(٢) صحيح البخاري (٥٧٧١).

(٣) إسناده صحيح، السلسلة الصحيحة (٧٨٣).

فقد يأكل المريض الدواء المجرب ولا يشفى، وقد يخالط الصحيح المرضى ولا يعدى، فيكون المنفى من العدوى اعتقاد حتميتها، والمثبت مطلق سببيتها. «فعن طارق بن شهاب قال: كُنَّا نَتَحَدَّثُ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فَقَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: لَا عَلَيْكُمْ أَنْ تُخَفُوا مِنِّي، إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ قَدْ وَقَعَ فِي أَهْلِي، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَنَزَّهَ عَنْهُ فَلْيَتَنَزَّهْ، وَاحْذَرُوا اثْنَتَيْنِ، أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: خَرَجَ خَارِجٌ فَسَلِمَ، وَجَلَسَ جَالِسٌ فَأُصِيبَ، لَوْ كُنْتُ خَرَجْتُ لَسَلِمْتُ كَمَا سَلِمَ فَلَانٌ أَوْ يَقُولُ قَائِلٌ: لَوْ كُنْتُ جَلَسْتُ أُصِيبْتُ كَمَا أُصِيبَ فَلَانٌ»^(١).



(١) إسناده صحيح إلى أبي موسى، الحافظ ابن حجر، بذل الماعون (١٦٥).

التعامل مع الوباء المعدي

وقد جاء الإسلام العظيم بالتعامل مع هذه الأوبئة على أكمل وجه، حيث أوجب أسباب الوقاية قبل وقوعها، وسن قواعد الحد من انتشار الأوبئة بعد وقوعها وأرسي قواعد الحجر الصحي قبل قرون متطاولة.

الوقاية من الأوبئة قبل وقوعها

وتمثلت في كثير من الأمور أذكر منها:

- الأمر بالنظافة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

[سورة البقرة]، فأمر بالوضوء وغسل الجنبات وغسل الجمعة والاستياك والمضمضة من شرب اللبن وغسل الأواني من ولوغ بعض الحيوانات وتنظيف الأبنية والمنازل والاستنجاء ومفارقة النجاسات كلها، فالنظافة من صميم هذا الدين.

- الأمر بالعادات الصحية:

كالختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظافر والسواك والغسل وقص الشارب، وأكل الطيبات والاكتفاء

باللقيمات، والحض على السباحة والرماية والعدو، والبعد عن القلق والغضب ونحوه، والأمر بتغطية الآنية في الليل، والأمر بغسل الأيدي قبل إدخالها في الآنية عند الاستيقاظ من النوم.

- تحريم أكل المضر وشربه:

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧]، كأكل بعض الحيوانات النجسة، وأكل السموم وكل ما يضر بالبدن، وشرب المسكر ونحوه.

- النهي عن العادات المضرّة بالجسم:

كإجهاد الجسد بمواصلة العبادة دون راحة، وكثرة الأكل والنوم في بعض الأوقات، وتعذيب النفس بشيء من النذور والنهي عن الكسل والنهي عن السهر لغير حاجة، والنهي عن التنفس في الإناء والنفخ في الطعام، وأمر العاطس بوضع يديه على وجهه.

- البعد عن الوباء:

بالبعد عن حامله وعدم القدوم على الأرض التي وقع فيها وقد تقدم أحاديث في ذلك.

دفع الأوبئة بعد وقوعها

- التداوي وطلب العلاج:

لقد أمر نبي الإسلام بالتداوي أما أقل أحواله
الندب: «عباد الله! تداووا، فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا
وضع له الدواء إلا داءً واحداً الهَرَمُ»^(١).

- الحجر على الموبئين:

فلا يخرج منهم أحد ولا يدخل إليهم أحد. فقد
قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا
تَدْخُلُوا عَلَيْهَ، وَإِذَا وَقَعَ وَأَنْتُمْ بِأَرْضٍ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا
فِرَارًا مِنْهُ»^(٢).

- التباعد الاجتماعي:

عن الشريد بن سويد الثقفي كان في وفدٍ ثَقِيفٍ رَجُلٌ
مَجْدُومٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ»^(٣).

(١) صحيح، صحيح الجامع (٣٩٧٣).

(٢) صحيح، صحيح الجامع (٦١٧).

(٣) صحيح مسلم (٢٢٣١).

مع الأحاديث السابقة.

ويروى أَنَّ عمرَ قال لمعيقبٍ: «اجلس مِنِّي قِيدَ رُمَحٍ»^(١)، أي مقدار طول الرمح.

ويروى عن النبي ﷺ: «كَلَّمَ الْمَجْذُومَ وَبَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قِيدُ رُمَحٍ أَوْ رُمَحَيْنِ»^(٢).



(١) فتح الباري (١/١٦٩).

(٢) ضعيف، السلسلة الضعيفة (١٩٦٠).

بعض ما يرد الوباء عن المسلم

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اصْطَبَحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّْ وَلَا سِحْرٌ»^(١).

قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءٍ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - فَيَضُرُّهُ شَيْءٌ»^(٢)، وفي رواية «لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٌ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٌ حَتَّى يُمِيتَ»^(٣).

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفْتَاهُ»^(٤)، أي من كل آفةٍ وسوءٍ وشرٍّ.

وجاء في حديث عبد الله بن حُيَيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ

(١) صحيح البخاري (٥٧٧٩).

(٢) صحيح، صحيح الترغيب (٦٥٥).

(٣) صحيح، صحيح الجامع (٦٤٢٦).

(٤) صحيح البخاري (٥٠٠٩).

اللَّهُ ﷻ يُصَلِّيَ لَنَا - قَالَ - فَأَذْرَكْتُهُ فَقَالَ «قُلْ». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا ثُمَّ قَالَ «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ «قُلْ»، قُلْتُ مَا أَقُولُ، قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوَّذَتَيْنِ حِينَ تُمَسِّي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(١).

وفي حديث عبد الله بن عمر أنه كان لا يدع هؤلاء الدَّعَوَاتِ حِينَ يَصْبِحُ وَحِينَ يَمَسِي: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(٢).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»^(٣).

(١) حسن، صحيح الترمذي (٣٥٧٥).

(٢) صحيح، صحيح الترغيب (٦٥٩).

(٣) صحيح مسلم (٢٧٣٩).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ،
وَالْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ»^(١).



(١) صحيح، صحيح أبي داود (١٥٥٤).

أحكام الحجر الصحي

عدم القدوم على الأرض الموبوءة

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرَعٍ لَقِيَهُ أَمْرَاءُ الْأَجْنَادِ، أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، فدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَرَى أَنْ تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ، فدَعَوْهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَشِيخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فدَعَوْهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقَدِّمَهُمْ عَلَى

هذا الوباء، فنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبَّحٌ عَلَى ظَهْرٍ
فَأُصْبِحُوا عَلَيْهِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ
اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفَرُّ
مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ
وَادِيًا لَهُ عُذُوتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ، وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ
إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ
رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ -
وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ - فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا
عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ
فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا
فِرَارًا مِنْهُ» قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ عَمْرُثُمَّ انْصَرَفَ (١).

عدم الخروج من الأرض التي وقع فيها

عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ عَنِ الطَّاعُونَ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ، وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ
الطَّاعُونَ، فَيَمُوتُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا

(١) صحيح البخاري (٥٧٢٩).

يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجْرٍ شَهِيدٍ^(١).
بل جاء في طريق عند أحمد: «فَيَمُكُّ فِي بَيْتِهِ»^(٢).

منع التجمعات والمخالطة والمباشرة

وقد تضطر الدولة لمنع جميع التجمعات للحد من الأوبئة، مثل المدارس والمطاعم والأسواق والملاعب والمناسبات الاجتماعية، حتى يصل المنع إلى الجمع والجماعات، بل قد يتعداها إلى الحج والعمرة إن لزم الأمر، وهو ما يقدره أولياء الأمر بالرجوع لأهل الاختصاص وهم العلماء والأطباء.

وكذلك المباشرة بالمصافحة والعناق ونحوها إذا تحققت مضرتها أو غلبت على الظن تمنع للمصلحة العامة.

والواجب على الناس الالتزام بهذه الأشياء إذا كانت الجهات المسؤولة عن المنع قد اجتهدت متحرية إصابة رخصة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مَا يَنْفَعُ عَمُومَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، باستشارة من هم أهل للاجتهاد في مثل هذه النوازل

(١) صحيح البخاري (٣٤٧٤).

(٢) المسند (٢٦١٣٩).

والله أعلم.

وليس والحال هذه لأحد أن يعترض على إجراءات الدولة ولو كان من العلماء المجتهدين، فكيف إذا كان من الغوغاء التي أبرزتها وسائل التواصل الاجتماعي.

الحكمة من الحجر الصحي

قال ابن القيم رحمه الله: «وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْأُمَّةِ فِي نَهْيِهِ عَنِ الدُّخُولِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ بِهَا، وَنَهْيِهِ عَنِ الْخُرُوجِ مِنْهَا بَعْدَ وَقُوعِهِ كَمَالِ التَّحَرُّزِ مِنْهُ، فَإِنَّ فِي الدُّخُولِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ بِهَا تَعَرُّضًا لِلْبَلَاءِ، وَمُوَافَاةً لَهُ فِي مَحَلِّ سُلْطَانِهِ، وَإِعَانَةً لِلْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ، وَهَذَا مُخَالَفٌ لِلشَّرْعِ وَالْعَقْلِ، بَلْ تَجَنَّبُ الدُّخُولِ إِلَى أَرْضِهِ مِنْ بَابِ الْحِمْيَةِ الَّتِي أَرْشَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْهَا، وَهِيَ حِمْيَةٌ عَنِ الْأَمْكِنَةِ، وَالْأَهْوِيَةِ الْمُؤْذِيَةِ ... وَفِي الْمَنْعِ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي قَدْ وَقَعَ بِهَا عِدَّةُ حَكَمٍ:

أَحَدُهَا: تَجَنَّبُ الْأَسْبَابِ الْمُؤْذِيَةِ وَالْبُعْدُ مِنْهَا.

الثَّانِي: الْأَخْذُ بِالْعَافِيَةِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ.

الثَّالِثُ: أَنْ لَا يَسْتَنْشِقُوا الْهَوَاءَ الَّذِي قَدْ عَفِنَ وَفَسَدَ
فَيَمْرُضُونَ

الرَّابِعُ: أَنْ لَا يُجَاوِرُوا الْمَرْضَى الَّذِينَ قَدْ مَرَضُوا بِذَلِكَ
فَيَحْصُلُ لَهُمْ بِمُجَاوَرَتِهِمْ مِنْ جِنْسِ أَمْرَاضِهِمْ.

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنَ الْقَرْفِ الثَّلَفَ» قَالَ
ابن قتيبة: الْقَرْفُ مُدَانَاةُ الْوَبَاءِ، وَمُدَانَاةُ الْمَرْضَى.

الخَامِسُ: حِمْيَةُ الثُّفُوسِ عَنِ الطَّيْرَةِ وَالْعَدْوَى فَإِنَّهَا
تَتَأَثَّرُ بِهِمَا، فَإِنَّ الطَّيْرَةَ عَلَى مَنْ تَطِيرُ بِهَا^(١).



(١) زاد المعاد (٤/٤١).

ما يلزم من عدم احترام الحجر

- الإثم:

قال الشيخ سليمان الرحيلي: «يجب شرعاً على المصاب بالكورونا أو المشتبه بإصابته أن يلتزم بما توجه به الجهة المختصة وإن لم يفعل فإنه يكون آثماً إثمًا عظيمًا فإن نقل الفيروس إلى غيره فمات المنقول إليه فإن الناقل يكون قاتلاً له بالتسبب، وقد خاب من أتى الله بدم معصوم مع ما يترتب عليه في الدنيا فلا يجوز التساهل في هذا»^(١).

- أذية المؤمنين:

قال الشيخ سليمان الرحيلي: «ليس الالتزام بالاحترازاات الصحية أمراً تنشط له أياما ثم تفرط فيه، فالتزم بجميع الاحترازاات الصحية، ولا تمل فإنك في طاعة تثاب عليها ثوابا كبيرا، وتسلم من أذية الناس لك وأذيتك لهم، ولا تتساهل في ذلك فتؤذي المؤمنين، فأذيتهم موجبة للعنة

(١) تغريدة من حساب الشيخ على تويتر.

الله، وقد تتسبب بتساهلك في موت معصوم، وذلك جرم عظيم^(١).

- تطويل عمر الوباء:

فإنه لا يمكن حد انتشار الأوبئة إلا بالحجر التام، فإذا تم إيقاف انتشاره سهل بإذن الله القضاء عليه بالأسباب التي ييسرها الله سبحانه، فإذا وجد من يتساهل ولا يلتزم فإنه يساهم في تطويل عمر الوباء وهو ما يعود على عباد الله بالمشقة، هذا لمن لم يصبه الوباء منهم.

- توسيع رقعة انتشاره:

نحن نؤمن إيماناً تاماً أن الأوبئة لا تنتشر إلا بإذن الله جل وعلا، ولكن الله جعل لكل شيء سبباً، وجعل لهذا الانتشار أسباباً، فإن وقعت هذه الأسباب ووافقت مشيئة الله كان المحذور. وإن من أعظم الأسباب وجود المتطوعين لحمل هذه الأوبئة، ممن لم يلتزم بالقعود في بيته وكف شره عن إخوانه المسلمين، قال رسول الله ﷺ:

(١) تغريدة من حساب الشيخ على تويتر.

«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»^(١).

- زيادة خسائر الدولة:

لا شك في قيام الدولة المسلمة بكل ما أعطيته من إمكانيات بالمدافعة لهذا الوباء، والتخفيف على رعيتهما من وطئته بحسب قدرتها، وإعانة محتاجهم ورحمتهم، وهو واجب على من ولاه الله أمر المسلمين، وهذا كله لا يحصل إلا بالإنفاق للأموال الطائلة، من شراء لكل لوازم الحياة من طعام ودواء وآلات، ودفع الأجور للعمال، ومواساة الفقراء والعجزة والمحتاجين، وبناء الطرق والمشافي والمرافق اللازمة.

فكل ساعة تزيد، وكل شبر من الأرض يلحق، فهو زيادة في الإنفاق الذي قد يرهق الخزينة ويضطر الولاة إلى القروض التي نعلم مغبتها وما تؤول إليه.



(١) متفق عليه، صحيح البخاري (١٠)، صحيح مسلم (٤٠).

استغلال المكث في البيوت

- قراءة القرآن والتدبر في معانيه:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد]، وقال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»^(١).

- طلب العلم النافع:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه]، وقال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والآه وعالمًا أو متعلماً»^(٢).

- التفكير في ملكوت الله:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران]،

(١) صحيح، صحيح الجامع (٦٤٦٩).

(٢) حسن، صحيح الجامع (١٦٠٩).

وقال رسول الله ﷺ: «لقد نزلت عليّ الليلة آياتٌ ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكّر فيها» ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١).

- اغتنام الفراغ بنوافل العبادة:

قال رسول الله ﷺ لرجلٍ وهو يعُظُّه: «اغتنمَ خمسًا قبل خمسٍ: شبابَكَ قبل هَرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبل سَقَمِكَ، وغناكَ قبل فقركَ، وفراغَكَ قبل شُغْلِكَ، وحياتَكَ قبل موتِكَ»^(٢).

وقال: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوْفَلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا

(١) إسناده جيد، السلسلة الصحيحة (٦٨).

(٢) صحيح، صحيح الترغيب (٣٣٥٥).

أَحَبُّتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِذَّنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١).

- تأديب الأهل وتعليمهم:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [سورة طه: ١٣٢]، وقال رسول الله ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع»^(٢).

- ملاعبة الأهل وملاطفتهم:

قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ هُوَ وَلَعِبٌ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَرْبَعَةً: مَلَاعِبَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَتَأْدِيبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ، وَمَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ،

(١) صحيح البخاري (٦٥٠٢).

(٢) صحيح، إرواء الغليل (٢٩٨).

وتعليمُ الرجلِ السباحة»^(١).

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إنه ليعجبني أن يكون الرجل في أهله مثل الصبي، ثم إذا بُغي منه وُجدَ رجلاً». وقال ثابت بن عبيد: «كان زيد بن ثابت من أفكه الناس في بيته، فإذا خرج كان رجلاً من الرجال»^(٢).

- محاسبة النفس واستدراك التقصير:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف].

وقد روي عن النبي ﷺ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ»^(٣)، قال عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، فَإِنَّهُ أَخَفُّ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ وَتَزِينُوا لِلْعَرَضِ الْأَكْبَرِ». وقال الحسن: «إن العبد لا

(١) صحيح، صحيح الجامع (٤٥٣٤).

(٢) شرح السنة للبغوي (١٣٨/١٣).

(٣) ضعيف، السلسلة الضعيفة (٥٣١٩).

يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همته»^(١).

- إنجاز الأعمال المتخلفة أو مساعدة الأهل في أعمالهم:

عَنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ»^(٢).
وفي رواية: قالت: «ما يصنع أحدكم في بيته: يَخْصِفُ التَّلْعَ، وَيَرْقَعُ الثَّوبَ، وَيَخِيْطُ»^(٣).

اللَّهُمَّ ارفع عنا البلاء، وارزقنا الرضى بالقضاء، وبلغنا مراتب الشهداء.
آمين.

وفي الختام أسأل الله أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، وأن يرزقنا الصبر واليقين، وأن ينفعنا بكتابه المبين وسنة

(١) إغاثة اللهفان (٧٨/١).

(٢) صحيح البخاري (٦٧٦).

(٣) صحيح، صحيح الأدب المفرد (٤١٩).

نبيه الأمين، وأن ينفع بهذه الكلمات الوجيزة، من كتبها
أو قرأها أو نشرها، في هذه الأيام العصيبة، التي تمر بها
جرائنا الحبيبة، وكل بلاد المسلمين.

سبحانك الله وبحمدك وأشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك
وأتوب إليك.

جمعه:

أبو أسماء أحمد رغدي

